مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 10/العدد: 3 (2022)، ص: 757- 778

الفلسفة الاجتماعية الفرنسية بين أزمة الاستهلاك الفائق والثورة الفردانية الثانية: جيل ليبوفيتسكي أنموذجا.

French social philosophy between crises: hyperconsumption and the second individualist revolution: Gilles Lipovetsky model of study.

سعو نبيل [1]، عقوني آسيا [2]

[1] مركز البحث في اللغة والثقافة الأمازيغية (الجزائر-بجاية)،

nabileprof@gmail.com

[2] جامعة محمد لمين دباغين (الجزائر-سطيف)،

assia.agouni@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/07/24 تاريخ القبول: 2022/09/11 تاريخ النشر: 2022/10/08

ملخص: في السنوات الأخيرة في الغرب، مع التطور التكنولوجي، شهدنا ارتفاعًا في التفكير في الاستهلاك وعلاقته بالحياة اليومية، ووظائفها، خاصة وأن الكون أصبح وسيلة تجارية بامتياز. يقودنا هذا النموذج منطقيًا إلى الحديث عن فلسفة جديدة للواقع الاجتماعي، فضلاً عن التحليلات، والتفسيرات المختلفة لأجزائه. ومن بين من تعاملوا مع واقع المجتمعات الغربية المعاصرة وخاصة المجتمع الفرنسي نجد الفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسي المعاصر "جيل ليبوفيتسكي" الذي كرس كتاباته لدراسة وتحليل روح الاستهلاك التي تعتبر عن الواقع المعاصر بأجزائه أو هوامشه ومن بين الموضوعات التي عالجها: الموضة ، والمرأة ، والمكياج، والسينما، والرياضة، والإعلام وغيرها من التفاصيل التي تشكل واقع الإنسان الفائق، وكذلك تحليله للحقيقة الثابتة في زمن الحداثة الفائقة وهي مبدأ "التغيير" في كل شيء وعلى جميع المستويات ، وكذا إبرازه لمظاهر التغيير التي اتسمت بها هذه المرحلة.

كلمات مفتاحية: التطور التكنولوجي، الغرب، الاستهلاك، التغيير، الحداثة الفائقة.

Abstract: In recent years west, with development of technology, we have witnessed a rise in thinking about consumption, its relationship to daily life, and its functions, especially since the universe has become a commercial medium par excellence. This model leads us logically to talk about a new philosophy of social reality, as well as the various analyzes and interpretations. Among those who dealt with the reality of contemporary Western societies, especially the French society, we find the contemporary French philosopher and sociologist, Gilles Lipovetsky, who devoted his writings to studying and analyzing the spirit of consumption, which is considered contemporary reality in its parts or margins Among the topics he dealt with are: fashion, women, makeup, cinema, sports, media and other that constitute the super-human reality. In the era of super-modernity, the principle of "change" everything and all levels, as well as highlighting it manifestations of change that characterized this stage.

Keywords: Technological development, the West, consumption, change, ultra-modernity.

المؤلف المرسل: سعو نبيل

1. مقدمة:

إن المجتمع الفائق الحداثة حسب جيل ليبوفيتسكي (Gilles Lipovetsky) (- 1944) يعكس طغيان المنطق الفردي من خلال توسيع نموذج الاستهلاك ليشمل الجسم الاجتماعي بأكمله، حيث لا يتم استهلاك السلع فحسب، بل تستهلك أيضًا الثقافة والطقوس والعطل، والأسرة، والأخلاق،

والدين وغيرها .فلم يعد الفرد هادئًا ومرتاحًا كالسابق، بل أصبح الآن يريد أن يبني رأس مال المتعة بأسرع ما يمكن ، ويعيش وفقا لمعيار " الأكثرية" حيث "الأكثر" هو الأساسي الآن، مما يجعله يشعر بأنه أكثر تحررا، كما يرفض رتابة اليومي ، ويمجد كل ما هو جديد وسريع وممتع وإن كل هذه الخصائص تشكل الصيغة الجديدة "للفردانية " أو كما يسميها ليبوفيتسكي " الفردانية الفائقة أو الثانية ".

إن الحداثة الفائقة ليست عودة للحداثة السابقة التي ترادف المستقبل المتفائل ، والواعد، والتقدم الضروري للتاريخ،فاليوم أصبح المستقبل غير مؤكد، ومصدر للقلق، بسبب تفشي البطالة، وانعدام الأمن، وعدم كفاية المعاشات التقاعدية وغيرها من المآسي التي تعكر صفو الإنسان المعاصر وتنكد على سعادته التي ينشدها ويبحث عنها اليوم عبر بوابة الاستهلاك والمتعة. إن الحداثة الفائقة تميل إلى المستقبل القريب للربحية، وتتسم بالإلحاح، والاستهلاك والاستثمارات المحمومة. وفي هذا السياق يقدم الفيلسوف الاجتماعي " ليبوفيتسكي "تشخيصًا دقيقا، وشاملًا لعصرنا الراهن سواء ما تعلق بالأفكار، أو التقنيات أو الفن، أو الصحة ، فهذا العصر يتميز فضلا عن كل هذا برغبة قوية في" الخفة "، وهو اتجاه لا يتردد كاتب التقارير الفرنسي في تأسيسه كأساس حضاري .

وبناءا على ما سبق عرضه فالإشكالية التي سنحاول معالجتها من خلال هذه الدراسة كاتالي: فيما تتمثل مظاهر الحداثة الفائقة؟ وما هي تأثيراتها على الإنسان الفائق؟ وكيف يمكن الاستثمار فيها وتجاوز خيباتها؟

ولمعالجة هذه الإشكالية قمنا بتقسيم هذه الدراسة إلى العناصر التالية:

1- من الحداثة إلى الحداثة الفائقة.

2- الجسد والإفراط في الاستهلاك.

3- الثورة الفر دانية الثانية.

4- الفن والجماليات الفائقة.

5- أخلاق ما بعد الواجب (لأخلاق الفائقة).

وأما فيما يتعلق بالمنهجية المعتمدة في هذا العمل ، فهي المنهج الوصفي التحليلي لأننا ركزنا على عرض الرؤية التحليلية المتعمقة لفلسفة جيل ليبوفيتسكي الاجتماعية للواقع الفرنسي المعاصر، من أجل إجراء قراءة مقارنة مع التجربة الحالية في البلدان الرأسمالية الأخرى التي تؤثر جذريا في نمط حياتهم.

أما الهدف من هذه الدراسة فهو تسليط الضوء على التغيرات التي تعيشها المجتمعات والعالم اليوم، وكذا ومحاولة فهم الآليات المعتمدة في ذلك، ومنه تحديد تأثيرات هذه التغيرات في مجرى أحداث حياتنا اليومية وكذا البحث عن الحلول الممكنة لمعالجة مطبات الحداثة الفائقة، ونكبات وخيبات الإنسان المعاصر والاستثمار من جهة أخرى في ايجابياتها.

2- من الحداثة إلى الحداثة الفائقة:

يذهب "ليبوفيتسكي" إلى أن الحداثة الفائقة التي نشهدها اليوم ليست بأي حال من الأحوال مرادفة لاختفاء الغايات كليا، بقدر ما هي دلالة أكثر على انتصار المادية، والسخرية، ولكن هذا الانتصار في الحقيقة ليس كليا، العكس من ذلك ، نشهد اليوم أيضا إعادة استثمار عدد من المشاعر، والقيم التقليدية، فإننا نستشعر راهنا طعم التواصل الاجتماعي والتطوع ، والغضب الأخلاقي، وتثمين الحب؛ والكثير من المشاعر والقيم التي لا تديم نفسها فحسب، بل تعزز نفسها عند الاقتضاء في تعميق النزعة الإنسانية للفردانية (l'individualisme)

إن العصر الحالي يمازج بين المتعة والقلق ، وهو ما يتضح بالحديث عن مصطلح" الحداثة الفائقة "إشكاليًا فقد تم التفكير في الحداثة من قبل من خلال قيمتين أساسيتين وهما: " الحرية "و"المساواة "، وتحت شخصية جديدة هي "الفرد المستقل "المقاطع لعالم التقاليد، ففي العصر الكلاسيكي سار ظهور

الفردية جنبًا إلى جنب مع زيادة سلطة الدولة، بحيث ظل هذا التمكين للمواطنين نظريًا أكثر منه حقيقيًا، وتمثل حسب" ليبوفيتسكي" الحداثة الفائقة اللحظة التاريخية الدقيقة لانهيار كل المكابح المؤسسية التي أحبطت التحرر الفردي، مما أدى إلى ظهور الرغبات الفردية والوفاء الفردي، واحترام الذات فالهياكل الاجتماعية العظيمة فيها أصبحت تفقد سلطتها، والأيديولوجيات العظيمة لم تعد موجودة، وكذا المشاريع التاريخية والمجال الاجتماعي لم يعد أكثر من امتداد للمجال الخاص؛ لقد بدأ "عصر الفراغ " كما يسميه "ليبوفيتسكي" لكن بدون مأساة أو نهاية للعالم(Gilles lypovetsky, 2004, pp. 16-18) .

ففي ظل الحداثة الفائقة الإنتاج والاستهلاك الضخم لم يعودا محجوزين فقط لفئة معينة، فقد تحررت الفردية من الأعراف التقليدية، ونشأ مجتمع يتجه أكثر فأكثر نحو" الحاضر أو"الآن"، والمستجدات التي يجلبها ، وأصبح يسكنه أكثر فأكثر منطق الإغواء المتصور في شكل مذاق الحياة، والتي يمكن لكل الطبقات الاجتماعية الوصول إليها. فالنموذج الأرستقراطي الذي ميز الأيام الأولى من تعثر الموضة، قوضته اعتبارات المتعة، حيث نشهد امتداد الذوق إلى التجديد ليشمل جميع الطبقات الاجتماعية، وتعزيزا للعبث، واللعب، وعبادة التطور الشخصي، والرفاهية. باختصار ، إننا نشهد بزوغ الأيديولوجية الفردية للمتعة. وهذا هو نموذج" الحداثة الفائقة "ومجتمع "عصر الفراغ"، حيث يتم شرح وتحليل المجتمع من خلال الإغواء، وليس من خلال مفاهيم تقليدية مثل" الاغتراب "أو " الانضباط "(Gilles Lipovetsky, 2004, pp. 17,20) .

إذن فقد شهد عصر الاستهلاك المفرط والحداثة المفرطة تراجع الهياكل التقليدية العظيمة للمعنى واستعانتها بمنطق الموضة والاستهلاك مثل الأشياء، والثقافة الجماهيرية ، وتم استيعاب الخطابات الأيديولوجية من خلال منطق الموضة، على الرغم من أنها تعمل دائمًا وفقًا لمنطق التعالي، والاستدامة،

والتضحية، والتفاني. لكن خلال القرنين الماضيين لم تستطع الموضة أن تفرض نفسها في المجال الاجتماعي، كما تم إحباطها من خلال الأيديولوجيات بذرائع لاهوتية، فقد خرجنا منها عندما انهارت قناعات الآخرويات، والاعتقاد بحقيقة التاريخ المطلق. فقد حل الافتتان محل الإيمان، لقد شرعنا في عملية لا نهاية لها من إزالة اللامركزية، وإلغاء جوهر المعنى الذي يحدد عهد الموضة الكاملة (Marcuse H. , 1986, p. 237)

قفي واقع الأمر، تنتهي الحضارة الصناعية المتقدمة في الغرب من خلال معالجتها الفعالة للإنتاجية المادية والعقلية، حيث تدمج المجتمع في اللاعقلاني الذي أصبح الدعم الرسمي للعقلانية اليوم، وهو ما يعكس الغموض في عصر الحداثة الفائقة وقد اتخذ المجتمع المعاصر أشكالا مختلفة مما جعل غاي ديبور (Guy Debord) (1931-1994) ينعته بمجتمع" المشهد " الذي لم يعد يقتصر فقط على مجموعة من الصور بل اختصر العلاقة الاجتماعية بين الناس، وربطها بالصور إنه قلب اللا واقعية للمجتمع الحقيقي؛ فالمشهد هو المشهد الرئيسي لمجتمع اليوم(Debord, 1992, pp. 16,17,22) .

كما أن عصر المشهد في أخر تطوراته معاصرا حسب الفيلسوف الفرنسي "لوك بولتانسكي" (1940-) (Luc Boltanski) يجعل من المتفرج يغلب عليه عامل الشفقة عند مُشاهدته لشخص بائس، وهنا تخفق استحالة التمثيل، وتتحرر على الفور مساحة أخرى تنكشف فيها المشاعر عن طريق التعبير عنها، كما يتم تحويلها لمشاعر التعبير عن الشفقة، وهذا ما يجعل منها عاطفة عابرة(Boltanski, 2007, pp. 97-98) .

وعموما فقد حقق الفكر الحديث تقدمًا كبيرًا في تقليص الموجود، فالظهورات التي تظهر الموجود ليست داخلية ولا خارجية، بل هي جميعًا متساوية ، وكلها تشير إلى ظهورات أخرى، وليس أي منها يتمتع بامتياز. إن ازدواجية

الوجود والظهور لن تكون بعد الآن حقًا للمدينة في الفلسفة ، ويشير المظهر إلى السلسلة الكاملة من المظاهر، وليس إلى الواقع الخفي الذي كان من شأنه أن يستنزف كيان "الموجود" بأكمله. ولقد أرجع الفيلسوف الفرنسي "جان بودريار" (Jean Beaudrillard) (1929-2007)

هذا التحول الجذري لحنين الإنسان المعاصر للعودة لعبودية الوثن، علما أن النظام الرأسمالي ساهم بشكل واسع في إحياء روح الإغواء، والشذوذ، وقدم لها أبعاد إغوائية تتسم بدورها بالتحول السريع، والتجدد الظرفي.

إضافة لذلك فقد حاول النظام الرأسمالي تحرير حاجات المستهلكين - من جنس نساء أو شباب- لعامل الاشتهاء وتبعية الجسم لحاجاته، واغواءاته. وعلى هذا فتحرر الجسد أمس مرتبطا بتفرغه للاستغلال التنافسي، الذي من شأنه أن يُعيد للإنسان قوته الإنتاجية، ويقرنها بإنتاج نظام الاحتياجات، ومن دون شك أن هذه الصيرورة هي من جعلت مجتمعات الحداثة الفائقة تستغرق السلوك الاستهلاكي والعلامات الثقافية، وتستخدمها كقوة منتجة. (Baudrillard, pour une critique de l’économie politique du signe, 1972, pp. 91,93).

3- الجسد والإفراط في الاستهلاك:

لقد اتخذ الجسد مُعاصرا عمقا وحيزا كبيرا في الفلسفة الغربية، كيف لا وهو الذي اختلف العديد من فلاسفة الحقبة الحديثة في تأويله نتيجة غموضه، وتعقيده، وهذا ما نجد له اثر في فكر "م. ميرلوبونتي" (Merleau-Ponty) 1961 (1908 -) الذي تعمق في دراسته، ولخصه في أشهر مقولاته التي مفادها:" أن وجدونا كذوات يمكن أن نحصره في معنيين فقط: إما أننا أشياء أو ذوات فاعلة، ومن هنا فجسدنا ليس له وجود محض بل هو تجلي وإظهار متواصل دون توقف" (Merleau-ponty, 1945, p. 188)، وفي هذا السياق تذهب سيمون

دي بوفوار (Simone de Beauvoir) (1908 – 1986) إلى أن الاختلاف لا يوجد شكلا بين المرأة والرجل، فطبيعة المرأة تتشابه إلى حد ما مع الرجل، وهو ما يتجلى في تشددها، وتمسكها بجسدها، ولكن الشيء الغريب في الأمر أن جسدها ككيان دائما يُعتبر شيء آخر غيرها. فأجسادنا غالبا ما تكون مسكونة بعالمها، وتتشكل في سلسلة علاقاتها بالخارج، وهذا ما يجعل مصيرها دائما مرتبط بفضائها(Beauvoir, 1949, p. 66) ، وهو ما يبرر المسارات والتحولات التي واكبت الجسد عبر العصور وصولا للفترة الراهنة، أين أصبحنا نتمتع بالجسد كوجود قابع تحت سيطرة المتعة والاغواءات، فالآن أصبح بإمكاننا شراء الجمال، والتعامل معه في كل مكان، وفي كل وقت: في مترو الأنفاق، والمطارات، والمواقع الإلكترونية، وإن هذه المرحلة تنم على أننا دخلنا العصر الزائدي للجمال المغري، فاليوم: أصبح الرجال يقومون بإتباع نظام غذائي، وممارسة الرياضة لفقدان الوزن ويهتمون أيضا بالهندام من خلال شراء المرطبات، والمنتجات المضادة للتجاعيد ، وصبغ شعرهم، وتركيب غرسات الشعر، واستخدامهم أيضا مركبات لتغيير لون البشرة؛ فرجال اليوم باتوا يجدون المتعة في الوسامة ومع تغير منطق النظام الرأسمالي الحالي طرأ بالمقابل أيضا تغيرا في تقدير وتحديد مكانة وقيمة الجسد الذي أصبح حسب تعبير "سيغموند فرويد" (Sigmund Freud) (1856-1939) عاملا أساسيا ومُنظما لعمليات الإنتاج في المجتمع الرأسمالي الاستهلاكي اليوم، وهو ما يؤكد أن الجسد معاصرا عامل لإشباع الحاجات الاقتصادية المُتجددة يوميا : (Lipovetsky, plaire et toucher essai sur la société de consommation, 2017, pp. 163,164,288).

ولعل هذه التعابير المُمجدة للجسد نجد لها مبررات وحجج في كتابات "جان بودريارعلى سبيل الذكر هنا سوف نتطرق لطريقة حصره للجسد وإقرانه بين هياكل، ومنشآت للإنتاج وعمليات الاستهلاك وهنا يكون للجسد وظيفتان

مزدوجتان فالأولى أمست مرتبطة بالتمثيل عن كونه رأسمال، أو جسد ك" فتِش" (fétiche) موضوع الاستهلاك أي كصنمية مستهلكة. (Baudrillard, la société de consommation, 1970, pp. 200,207) .

أما الجسد في التفسيرات الحالية فنجده قد امتزج بمفهوم الطاقة: إيمائي، وجنسي أي بعبارة أخرى أضحى وجوده يعبر عن فكرة الرغبة والمتعة؛ ولما ارتبط الجسد بالسعادة فالحياة الجنسية أضحت كأنها أخذت نسبتها العالية من الاحتمالات للحصول على الرضا والسعادة. وإن هذا ما أدى لتنمية الشخصية المنتجة في حدود احتياجات الإنسان، وبمجرد إدراك إمكانية السعادة الناجمة عن رغبات ومُتطلبات الجسد الأساسية، فمن دون شك فذلك سيؤدي حتما إلى طلب المزيد من الرضا والسعادة . وفي المستوى الآخر من الوجود البشري تطلب نجاح هذا المطلب توفير قاعدة أساسية من الوسائل المادية اللازمة لإشباع النظام الاجتماعي السائد (Herbert, 1963, p. 162) .

وإن ارتباط الجسد بالسعادة التي ينشدها الفرد في الغرب في الحقيقة هي تضخم حقيقي مستوحى من الحكمة القديمة للبوذية، أو الطاوية، أو الرواقية. حيث أن هذه المقاربات درست التطور والنمو الشخصي للجسد، ومثل هذه النظرية نجدها مُعتمدة في الولايات المتحدة الأمريكية. وأما علم النفس الإيجابي فيرجع نمو الجسد وتطوره لأسلوب التدريب، الذي تتخذ فيه الأشكال الأقل جاذبية قيمتها، وتعدنا بتحقيق الرفاهية، والسعادة باللجوء لتقنيات روحية معينة، وإلى تمارين الحكمة العملية(Ferry, 2006, p. 11) .

فلقد أصبحت المتعة في عصر الحداثة الفائقة تتخذ شكلا من أشكال السعادة الظرفية للجسد التي توهمنا بالتحرر في ظل الحرية المفقودة، وفيها يُعرض الفرد نفسه باعتباره كائن ذو بعد جنسي، وتهدف طاقاته المتنوعة للحصول على السعادة بكل مظاهرها الآنية. (Onfray, 1991, pp. 151,152)

إضافة لذلك فإن ارتباط الإنسان بعالم السوق أدى حسب الفيلسوف الفرنسي "ألان باديو" (Alain Badiou) (1937-) لتغير حال عالمنا المعاصر، حيث اتجه صوب عالم السلع، وأهمل عالم للحريات وهذا ما جعله يعتبر أن عالمنا اليوم أصبح عالما للاستهلاك بامتياز، لا عالما للفلسفة أو السعادة . إنه عالم غير جاهز لا لفكرة الثورة، ولا لفكرة السعادة؛ وذلك لأن عالم البضائع لا يمكنه أن يمنحنا غير سعادة الإشباع: إشباع رغباتنا اللامتناهية. ومفاد ذلك أنه: "من المفارقات أن يمنحنا ركام السلع السعادة الحقيقية فعالم السلع لا يمكنه أن ينتج غير السعادة الوهمية" (المسكيني، 2016، صفحة 184) .

وفي الحقيقة إن طغيان الجانب الآداتي المادي على الحضارة المعاصرة أدى لاختزال الجسد أيضا في الصيغ المعلوماتية، إذ أصبح يُختزل في البيانات، وربما يتضح ذلك من خلال استخدام البصمات، والإحصاءات الحيوية للتحقق من هوية جسد الشخص، للسماح له بعبور الحدود. فالمعلومات الخاصة بالجسد في الحقبة المعاصرة تُعامل كما لو أنها حاسمة تستخدم لتحديد هوية الشخص وتختزله في بعده المحايث. (ليون، 2017، صفحة 135).

4 - الثورة الفردانية الثانية:

يرى الكسيس توكفيل (1805 - 1859)(Alexis de Tocqueville) بأن "الفردانية "كتعبير حديثة الظهور والتداول كفكرة، لم يعرف آباؤنا عنها شيئًا. فالفردانية لها علاقة وطيدة بالأنانية، وهي أيضا تعبير يقيني عن حب الذات والمغالاة في تقديسها، وذلك عن طريق الميلان المبالغ لما هو عاطفي ولعل هذا هو أبرز دليل على اندفاع الإنسان في تقدير ذاته، وفي إرجاعه لكل لذاته، أو في تفضيلها على الجميع(Tocquevillee, 1961, p. 141) .

ولقد سمحت ثورة المستهلك في عصرنا هذا بلوغ قدر كبير من التطور في حقوق الفرد ورغباته، ولقد أدى هذا التحول لإعادة ترتيب القيم الفردية التي

واكبت تطورات عدة، وأحدثت نقلة نوعية في ثقافة عصر الحداثة الفائقة، وذلك من خلال إتاحة وإثراء فرص وإمكانيات الاختيار. وهذا العصر يتسم أيضا بالعمل على الأخذ بسيولة المعايير، من خلال تقويض المعنى الفريد، والقيم العليا للحداثة، (lipovetsky, l'ére du vide : essai sur l'individualisme contemporaine, 1983, pp. 13,18,55) كما أنه يميل إلى التقليل من الفروقات التي طالما نشأت بين الجنسين والأجيال، ويرجع ذلك التمايز المفرط للسلوكيات الفردية، لصالح الأدوار والأعراف الصارمة للمجتمع فالاستهلاك المُعاصر أصبح يرتكز أساسا على السوق، بل حتى الفرد المُعاصر بات يُستهلك عن طريق الأشياء ،والعلامات التجارية التي تتخللها الديناميكية، والأناقة، وقوة مشهد؛ ففي هذا عصر تم مسح الحدود بين الرجولة والأنوثة، كما تم فيه أيضا صقل الطبيعة، والعديد من الصور التي تؤثر على اختياراتنا. وبالطبع هذا ما أحدث تغيير، ونقلة نوعية تستدعي العودة للخوض في فهم علاقات الانتماء الاجتماعي وخصوصا عندما تكون الأذواق باختلافاتها لا تتوقف أبدا في البحث في طبيعة الفرد (Lipovetsky, plaire et toucher : essai sur la société de séduction, 2017, pp. 240,245,250) .

كما أن البحث في مشكلة جوهر الفردية يُظهر لنا ضربا من التناقض في الواقع، فالفردانية معاصرا تعني عدم الاهتمام والإصغاء للضوابط الاجتماعية المنظمة للمجتمع ، وتضع أفرادها في مرحلة تنعت ب "ما بعد الانضباط "، وفي هذه اللحظة يكون أي فرد مُخير بين تحمل المسؤوليات أو رفضها. ففي هذه المجتمعات نلاحظ أيضا التزام السلوكيات الفردية في القضايا التي تعنى بالبدن على غرار: مراقبة الوزن والاهتمام بكل المعلومات الصحية، والرياضية مثل: الجمباز... أما الصنف الثاني من هذه المجتمعات فهو مجتمع السمنة أو وزيادة الوزن، وفي هذا الصنف نجد أن الفردانية قد انغمست في البحث عن الرغبة في

إعادة تشكيل عالم أيديولوجي وذاتي (Lipovetsky, l'ére du vide: essai sur l'individualiseme contemporaine, 1983, p. 47)، وأصبح المستهلكون فيها أكثر دراية وتطلبًا وفي نفس الوقت أكثر حساسية للأسعار، وأقل حساسية للعلامة التجارية، وفي هذا النمط من الإنتاج تكون حلقة المنتج مجرد وسيلة للوصول إلى العلامة التجارية، ونشرها على مواقع التواصل الاجتماعي كما في عصر رأسمالية الاستهلاك المفرط، حيث تسعى الشركات جاهدة لإغواء عملائها عبر محاولة إرضائهم بواسطة المزيد من الأنشطة الترفيهية، والمزيد من متعة التسوق، لتتطور مع مرور الوقت بشكل أساسي للوصول للمتعة عن طريق استهلاك الصور التلفزيونية، وهذا التأثير هو من مخرجات الرأسمالية المغرية لتي استولت على العاطفة (Lipovetsky, De la légerté: vers une civilisation du léger, 2015, p. 26).

ولقد ساهمت النزعة الاستهلاكية من خلال تغلغلها بعمق في المجتمعات الرأسمالية المُعاصرة على الكشف عن وجهان متلازمان أضحى يمثلان سمات العصر، حيث أنه من جهة، يسعى إلى تلبية الرغبات الذاتية والشخصية، وتعزيز مفهوم الفردانية. ولكن لا يجب طبعا نسيان أن منتجتها الاستهلاكية المُنمطة تؤدي حتما لبزوغ نزعة فردانية منمطة، أين أصبح الفرد فيها خاضعا للمنظومة الاستهلاكية التي تجعله مع مرور الوقت مشدودا أكثر فأكثر إليها، لدرجة أنه يضع نفسه في خدمتها. وخلاصة القول أن أشكال الضيق والقلق، والهموم، والإحباط التي باتت تكرس نمط عيشنا في الحضارة المعاصرة هي من تحدد هوسنا بالتسوق من ناحية، ومن ناحية أخرى هي من تحدد أشكال الإدمان والتسمم المختلفة . (موران، 2019، الصفحات 336-337).

5- الفن والجماليات الفائقة:

يذهب "شارل بايل (1935-1995) Charles Bell) إلى تعريف الفن الحديث بأنه تعبير عن الذات والثورة ضد الأساليب السائدة ؛ ومن سمات فن الحداثة (الرسم) أنه يتميز بانفصاله عن التقليد إذ لم تعد أهميته مقتصرة على جعل العالم مثاليًا أو خاضعًا للامتياز ومن أساليب الفن الحديث أنه يرصد نظامًا جماليًا يتحدى قواعد الإدراك والتواصل (lipovetsky, l'ére du vide: essai sur l'individualisme contemporaine, 1983, p. 123.126.132)، فالفن المعاصر حقيقته صارت ليست تقليدًا للطبيعة وتكريما لها ، إنما تشويها لها. وأما رسومات الجسد والوشم ، والملابس، والزخرفة لم تعد سوى تعبير عن أحد الأشكال السلبية للفن والجماليات المُعاصرة ، فهي في حقيقتها ليست سوى تجسيد لعلاقات الفن بالأشياء ،وبالأماكن ، وبالمساحة المخصصة للإغراء في فعل الاستهلاك الذي طغى على السوق الاقتصادية المعاصرة (Gilles lipovetsky . E. R., le luxe eternel, 2003, p. 59)

فقد ساهم الأداء التشكيلي للفنانين في تقديم عروض جديدة للمكان والزمان في لوحاتهم الفنية ، ولقد أبان هذا النوع الجديد من الفن عن بزوغ علاقة جديدة تربطنا بالعالم، فقد اختزل الفيلسوف الألماني "هربرت ماركيوز" (1898 - 1979) (Herbert Marcuse) هذه الفكرة وربطها بمنطق تحدي الفن لمبدأ العقل، وانصياعه لنظام الحساسية، ومن هنا يتأكد الدور الجديد للفن المُعاصر من حيث أنه يناشد منطق المحظورات، التي تتماشى وفقا لمنطق الرضا الذي يتعارض مع روح القمع، كما أنه أصبح يُظهر خلف الشكل الجمالي شكلا من التسامي في محتواه، ومن مواصفات الفن في طوره الأخير أنه يمتزج بمبدأ اللذة (Marcuse H. , 1963, p. 124)، ومن جهة أخرى لعل من سمات الفن المعاصر أنه قد اقترن ببنيته الأبدية التي نجدها تلغي التعارض بين الماضي

والمستقبل، وتضفي على الماضي علامة مستقبل مفتوح، وتضمن للمستقبل ديمومة (Pierre Boudot, 1973, p. 124) .

لقد سعى الفن المعاصر للتحرر من قيود السوق التي أخضعته لمنطقها، ولتحقيق نفسه في عالم تسوده الحياة الاستهلاكية، والإلحاح، والعجلة، وهذا ما جعله محل انتقادات لا حصر لها، وذلك ليس من زاوية بحثه عن أخلاق الزهد، ولكن من خلال بحثه عن نموذج جمالي أعلى رغباته هي خدمة الوجود الفردي، وهذا النوع يرتكز على العودة لحاسة الشعور، وتقدير الذات، والاعتناء بالعالم في ديمومته التواصلية ، ومن مُميزات هذا الضرب أنه يرتكز على الوقت الداخلي، وعاطفة اللحظة التي تنكشف في اللحظة غير المتوقعة، وفي اللحظة الحية ،أين يكون الاستمتاع بالجمال الموجود والمملوء بالرفاهية، والتفكير في متناولنا.

ولعل هذا النوع من الفن بات يُعرف باسم الاستيطيقا الفنية الفائقة (Transaesthetic)، وقد ظهر هذا النوع الفني إبان بروز وتقدم النظام الرأسمالي المعاصر، حيث سعى هذا العصر لمزج الفن بالصناعة كما ربط أيضا بين الفن والتجارة: (الموضة، والترفيه) ، كما ربط أيضا الفن بالتواصل؛ وهنا يصبح من الصعب تقديم ووصف الفن بأنه كيان نقي أو مستقل، ما دام دائمًا ما يكون مرتبطًا ومختلطًا بالمنطق التجاري، النفعي، والترفيهي. بهذا المعنى فقد مثلت الرأسمالية الفنية في اجتهادها، وسعيها المتواصل لتقديم الأفضل على أنها حالة جمالية للعالم الراهن، فالنظام الاقتصادي الليبرالي الحالي لم يعد يكتفي بالتركيز بشكل أساسي على إنتاج السلع الرأسمالية ، بل أصبح يستثمر بشكل متزايد في الصناعات الإبداعية من أجل تسويق عدد كبير من المنتجات، والخدمات الاستهلاكية الجذابة، وتتسم السلع المسوقة من قبل هذا النظام الاقتصادي الاستهلاكي بتوليد عامل المتعة، والإلهاء، والتجارب العاطفية ، وسرور العينين، وتُثير أيضا عنصر الاختلاف بين الأفراد (Gilles lipovetsky j. s.,

(2013, p. 35.69.70) فالسلعة لم تعد مواد بل متع، فهي تدخل السرور بالنظر والرؤية ، وتستخدم لإبراز ميزاتنا أمام الآخر، فالموضة قد نجحت في جعل السطحي أداة للخلاص ، فالموضة الفائقة (hypermode) جعلت وظيفة السعادة البحث عن اللذة من أجل تحقيق حرية أكب ، وحياة أسعد وأسهل (Gilles lipovetsky E. R., le luxe eternel, p. 71.44.103). فالبعد الأخلاقي والجمالي للرفاهية التي تشكل نوعا من الحسية و لجمالية في آن واحد، تختزل هذه المواصفات في المنتجات التي يقدمها لنا النظام الرأسمالي في شكل علامات تجارية تتوافق مع روح وثقافة العصر (Gilles lipovetsky E. R., le luxe eternel, 2003, p. 194)

إضافة لذلك فإنه يطغى على الجماليات المعاصرة طابع " الزائل" المجسد في روح الموضة، وهذه الظاهرة لا تمثل فقط علامة التميز الاجتماعي، بل تشير أيضا للوقت الذي تحكمه إيقاعات التغيير المتسارعة للمستهلكين، ولقد توصلت لتحكم في زمام الأمور عن طريق توفير عامل الترفيه، والاتصالات، وأيضا من خلال التجديد الدائم للنماذج، والصور، والبرامج؛ ومن الأمثلة الراهنة إطلاق أنواع جديدة من الهواتف كل ثمانية أشهر، وكذا الاستعراضات الجديدة للأحذية الرياضية كل موسم، وفي السينما كل فيلم يلاحق آخر، وفي الغناء أصبحت تختفي الأغاني بعد أسابيع قليلة.من ظهورها، فقد أصبح السائد الآن يتجلى في الاستراتيجيات السريعة للزوال، والإطلاق السريع للمنتجات الجديدة، ومضاعفة متغيرات المنتجات. ومن الآن فصاعدا ستصبح خصائص عالم الموضة مفروضة كمبادئ أساسية للاقتصاديات الموجهة نحو الاستهلاك.

6- أخلاق ما بعد الواجب (الأخلاق الفائقة):

يذهب "ليبوفيتسكي " إلى أن أخلاق الواجب المعاصر لم تختف من المجال الاجتماعي كما يخيل للبعض، بل أصبحت موجودة بصيغة مختلفة، وتتواصل

بفضل الرسائل التي تنشرها الوسائل الإعلامية ومن مميزاتها أنها لم تعد تحدد من الداخل، فمعاييرها الجديدة لم تعد تقتصر على الفروض والضوابط الخارجية كالروح الوطنية أو رعاية العلاقات الأسرية، أو قداسة الكنائس، بل أصبحت مفتونة بما هو تافه، وما لا لزوم له؛ لقد دخلت الأخلاق المعاصرة تقريبا باب التناقض مع أخلاق سابقيها، فالفرد فيها أصبح يعيش لحظته المرنة والتواصلية، والتي تتميز بالذوق المذهل، والاستهلاك الفرداني (Gilles lipovetsky s. c., 2004, p. 26) . وفي هذه اللحظة أصبح الاهتمام بالمجال الأخلاقي معاصرا أمرا ملحا وخاصة إذا علمنا بأن أخلاق ما بعد الواجب تعتبر مرآة مميزة يمكن من خلالها فك رموز روح العصر الجديدة، فالمجتمعات الغربية مثلا قامت بتصفية جميع القيم السطحية المرتبة من قبل الحياة الدينية وتخلصت أيضا من أغراض العلمانية، لتصل لبلوغ ثقافة يومية تهتم بأخلاق الواجب المفرط، وتسترشد بالرفاهية.

يكمن إشكال المجتمع الاستهلاكي مُعاصرا في أنه قد وفق في صناعة مجتمع يتخلله الاهتمام بالرفاهية والاستمتاع بوقت الفراغ، وفيه أيضا تم الفصل بين العمل وفكرة الواجب تجاه الذات، كما أن هذه المجتمعات تتصف بكونها تحررت أيضا من علاقات الالتزام تجاه الواجب الأخلاقي و جاه ما يتعلق بالرهان الأخلاقي فيها، ومدى العمل بالمبادئ الإنسانية الأخلاقية، والضرورات العظيمة للأخلاق كالصدق، والمساعدة المتبادلة (lipovetsky, le crépuscule du devoir, 1992, p. 121.128) وبات الأهم فيها هو السعي لضمان حقوق الإنسان والتضامن، واحترام الأطفال ، وإدانة العنف والقسوة. ففي هذه المجتمعات المعاصرة نجد ا توسعا في حجم المساعدة، وكثرة المبادرات بالأعمال الخيرية والتبرعات، وتوسيع العمل التطوع ، كما يتميز التأطير الأخلاقي في هذه المجتمعات بأنه لم يعد يقتصر على المنظمات الحكومية، بل شهد توسعا ليشمل

المنظمات غير الحكومية المناهضة للعنصرية. : (lipovetsky, De la légerté vers une civilisation du légere, 2015, p. 151.152)

إن الأخلاق الفائقة في جوهرها هي أخلاق ما بعد الواجب التي تنشد بإصرار الهيدونية (Hédonisme) وفيها يكون الأفراد قد فقدوا السيطرة والسلطة على بث القيم الأخلاقية في أسرهم حيث أصبح فيها راعي الأسرة تحت سلطة وبداهة الحقوق الوهمية ، فلا تزعجه مثلا خيانة زوجته له، ولا يضره فساد ابنته وقيامها بالمعاشرة خارج علاقة الزواج الشرعية، بل يرى في عدم فعل وممارستها لمثل هذا الانحرافات الأخلاقية مرض نفسي، تسبب فيه اختلال اللبيدو في بناء شخصيتها الإنسانية، بل يقبل بذلك ويبارك لها سلوكاتها باسم الحق، و في هذه المجتمعات يرفض الوالد أيضا مساعدة ولده في سن الرشد، ويعامله معاملة الغريب. وعموما فأخلاق الواجب في المجتمعات الفائقة أمست تغلب عليها طابع المطالبة بالحقوق دون الاهتمام بالحد الأدنى من الواجبات ، وتنشد طريق الهيدونية الذي حرف مسار الأخلاق ليصبح هدفها بلوغ الشهوة ، وهذا ما التفت إليه النظام الاقتصادي المعاصر الذي استنسخ منها ماديات وحاجيات، وخلق لها إغراءات، وشهوات تستدعي الإشباع والمتعة (بوحناش، 2016، الصفحات 258-259).

وفي ظل هذه التحولات الأخلاقية يذهب الفيلسوف الفرنسي "روين أوجين" (Ogien Ruwen)(1949-2017) لاقتراح نمط أخلاقي يستوجب على الغرب التعامل فيه مع الحد الأدنى من الأخلاق ويتطلب هذا النوع من الأخلاق اتخاذ مبدأ الحياد من جانب الدولة، وترك المبادرة لكل شخص ليعيش حياته بنفسه طالما أنه لا يؤذي غيره، ومن طبيعة هذه الأخلاق أيضا أنها تشجع على إيجاد الحلول لمشكلاتنا، مع الحفاظ على المسافة الكافية مع الغير.أما المجتمع يقتصر

دوره على ضمان الحفاظ على هذه المسافة التي تعتبر مسافة أمن واطمئنان (Ogien, 2007, p. 161).

7-خاتمة:

على ضوء ما سبق ننتهي إلى أن جيل ليبوفيتسكي يهدف في تحليله إلى فك شفرة الحداثة الفائقة التي تركز أساسًا على المنطق الاجتماعي فيما يتعلق بالاستهلاك، وعلى التغييرات في مدى الاستخدام وارتباطه بالمنفعة في الواقع ، حيث لا توجد معايير أو قوانين ثابتة في مجتمعاتنا ، وكلها تعتمد على السوق والتبادل، حيث أصبح "المتغير "هو الثابت الوحيد.

إضافة لذلك يؤكد ليبوفيتسكي على فرط الاستهلاك الفردي للمستهلك كالاستخدامات الشخصية للفضاء العمومي، والوقت، والأشياء . ويؤكد أن العدد الكبير من مشتريات المنتجات اليوم لم تعد من أجل وضع اقتصادي اجتماعي، ولكن من أجل الملذات الخاصة، فالمستهلك المفرط اليوم هو الشخص الذي يريد باستمرار تجديد تجربته، ويرفض التوقف عن العمل، ويريد دائمًا تجريب مشاعر جديدة ، ومتع جديدة من خلال مستجدات السوق،لأنه مستهلك يؤمن بتجدد الموضة على جميع الأصعدة، ويمجد المنتجات الجديدة التي تخسف ما كان في الوقت القريب رائجا.

كما ينتهي ليبوفيتسكي من خلال تحليله للواقع المعاصر بجزئياته إلى أن عصرنا الحالي هو عصر التعزيز المعاصر للملذات الفورية، والهروب، والملذات الحسية، مع تأكيد الثقافة الجمالية، والاهتمام بالجمال والخفة من خلال ثقافة الرفاهية الحسية التي لا تقتصر على الموطن والأشياء ، بل امتدت للعلاقة بالعناية بالجسم، والنظافة، والجمال.

إضافة لذلك يرى جيل ليبوفتسكي أن الليبرالية الجديدة أصبحت توفر للإنسان الفائق الحماية التي كانت توفرها له العقائد الدينية سابقا، وتقدم له

المواساة في أوقات الضيق، والقلق. فالمجتمعات التقليدية كانت تستخدم بعض الآليات لا من أجل منع خيبات الأمل، وإنما للحد من الشعور بالهزيمة، مثلا عن طريق زيارة القدّاس، والصلوات والاعتراف بالذنوب؛ إن الخيبة الإنسانية كانت ولا تزال موجودة، ولكن المجتمع كان يتسم بالثبات، أما اليوم فالمتغير هو المبدأ السائد.

لكن رغم أن ليبوفيتسكي يوضح كيف أصبح العالم خاضعا لمفهوم السلعة، إلا أنه في المقابل يرى أن تنوع المنتوجات الجديدة يتيح للمستهلكين إثراء أنماط حياتهم، بل ومضاعفة الهويات التي ينتمون لها. كما يرى أن استيعاب معايير الاستهلاك له بعض الجوانب الإيجابية، حيث أصبح البشر أكثر واقعية، وأكثر إحساسا بمسؤوليتهم حيال حياتهم، ومصيرهم، ومما لا شك فيه أكثر واقعية، ومسؤولية، ولكن أقل رومانسية.لكن مثل هذا النمط المعيشي لا يؤمن سوى سعادة متناقضة.

كما ينتهي ليبوفيتسكي أيضا إلى أنه في مجتمع الاستهلاك المفرط هناك مجتمع آخر، هو مجتمع هش في الحقيقة لأنه لا يمتلك إمكانيات المشاركة، والانخراط في الموجة الاستهلاكية العالية.

كما يؤكد أيضا على أن الحداثة المُفرطة لا تعبر عن نهاية الحداثة، ولانهاية التاريخ، إنما هي لحظة ثانية للحداثة تجمع بداخلها إفرازات العصر على غرار التكنولوجيا، والسوق، والديمقراطية الليبرالية لحقوق الإنسان.

كما يذهب أيضا على أن المجتمع القادم سيقوم أساسا على روح المفارقة الفائقة، أي بعبارة أخرى تجاور واجتماع الأضداد، والمتعارضات بتوافق وسلام.

إضافة لذلك فالعصر الجديد للحداثة المُفرطة الذي تعيشه مجتمعاتنا مؤخرا يفرض السوق نفسه فيها كمنظم جديد للمجتمعات، حيث أصبح هو من يتحكم في الأزمات الاقتصادية، والمُشكلات البيئية وقضايا الأخلاق، والهوية.

كما أن الثقافة الفردانية تذيب قوة الالتزام في الأوامر الأخلاقية، و تدمر التأطيرات التقليدية، والدينية لصالح الأنا.

وإن كل هذه النتائج دفعت بجيل ليبوفيتسكي لتقديم مقترحات، ورهانات عدة للتخفيف من أزمات الحداثة الفائقة، والاستهلاك الفائق، ونذكر من بينها مايلي:

- المراهنة على التربية من خلال تعزيز المدرسة ورفع الموارد الفكرية، وقدرات التحليل والتفكير لدى أبناء الشعب.

- المبادرة في التعليم الشامل بحيث تندرج فيه العلوم الإنسانية، والأدب، والتاريخ، والثقافة العامة، وقيمة هذه الأقطاب تساعد على قدرة استقلالية الأفراد، وعدم التيه وسط الكم الهائل من المعلومات المُناحة على شبكة الانترنت، وتساعد أيضا هذه المُبادرة في إعلاء القدرات الفكرية والنقدية لدى المواطنين .

- الحفاظ على توازن النظم البيئية ،وذلك بمكافحة شتى الاختلالات الوجودية التي تسببها النزعة الاستهلاكية .

- الاستثمار في المجال الثقافي لمجابهة خطورة وضع النمو الاستهلاكي غير الطبيعي.

8. قائمة المراجع:

باومان زيجمونت، ليون ديفيد، 2017، المراقبة السائلة، ، ترجمة: حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر لبنان.

المسكيني أم الزين بنشيخة، 2016، الفن في زمن الإرهاب، منشورات ضفاف، لبنان.

موران ادغار ، 2019، السبيل لأجل مُستقبل البشرية ،ترجمة: بشير البعزاوي، منشورات الجمل، بيروت .

نورة بوحناش، 2016، الاجتهاد وجدل الحداثة ، منشورات الاختلاف، الجزائر.

Baudot pierre, Deleuze Gilles, Derrida Jaque, 1973, Nietzche Aujourd'hui **?** , union Général éditions.

Baudrillard Jean, 1970 , la société de consommation, éditions Denoël.

Baudrillard Jean, 1972, pour une critique de l'économie politique du signe, édition Gallimard.

Boltanski Luc, 2007, la souffrance à distance, Gallimard.

De Beauvoir Simone, 1949 , Le Deuxième sexe, édition Gallimard.

Débord Guy, 1992, la société du spectacle, Gallimard.

Ferry Luc, 2016, 7façon d'être heureux : ou les paradoxes du bonheur, x o éditions.

Lipovetsky Gilles, Sorroy Jean, 2013, L'esthétisation du monde vivre à l'âge du capitalisme artiste, Éditions Gallimard.

Lipovetsky Gilles,2004, Charles Sébastien, les temps hypermodernes, éditions Grasset et Fasquelle.

Lipovetsky Gilles, 2003 , Roux Elyette, le luxe éternel, éditions Gallimard.

Lipovetsky Gilles, 1983, l'ère du vide, essais sur l'individualisme contemporaine, éditions Gallimard.

Lipovetsky Gilles , 1992, Le Crépuscule du devoir, éditions Gallimard.

Lipovetsky Gilles, 2015, De la légèreté, vers une civilisation du léger, Éditions Grasset & Fasquelle.

Lipovetsky Gilles , 2017, plaire et toucher : essai sur la société de séduction, édition Gallimard.

Marcuse Herbert, 1963, éros et civilisation**,** édition minuit.

Marcuse Herbert, 1986, l'homme unidimensionnel : Essai sur l'idéologie de la société industrielle avancée, Editions Minuit .

Merleau-Ponty Maurice, 1945, Phénoménologie de la perception, édition Gallimard,.

Ogien Ruwen, 2007, L'éthique Aujourd'hui maximaliste et minimaliste, Gallimard.

Onfray Michel, 1991, l'art de jouir, éditions Grasset et fasquelle.

Tocqueville Alexis, 1961, De la démocratie en Amérique, éditions Gallimard.